مجلة دراسات موصلية

مجلة فصلية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN. 1815-8854

تاريخ استلام البحث: ٢٣/٤/ ٢٠٢٥ تاريخ قبول النشر: ١٩/٦/٢٠٢٥

عماد الدين زنكي ودورهُ بحفظ السلم المجتمعي في العراق

Emad Ad-Din Zengi and His Role in Preserving Social Peace in Iraq)

م. د محمد عبش سباك

Dr. Mohammed Abash Sbaak

جامعة الحمدانية/ كلية التربية للعلوم الانسانية/قسم التاريخ/العراق

University of Al-Hamdaniya / College of Education for Human Sciences / Department of History / Iraq

MohammedAdashmhmdbshg25@uohamdaniya.edu.iq

ISSN. 1815-8854

ملخص البحث

يشير مفهوم السلم المجتمعي إلى حالة من التناغم والانسجام الداخلي في المجتمع العراقي فعلى الرغم من تنوع النسيج الاجتماعي والديني، الا أنه اتسم عبر التاريخ بحالة من التعايش السلمي الذي عزز أواصر التلاحم بين القوميات والمذاهب في العراق جميعا، ومن هذا المنطلق هدف البحث إلى بيان دور سياسة عماد الدين زنكي بحفظ السلم المجتمعي في العراق، وإن من أبرز النتائج التي تمحور عليها البحث تتمثل في عمل عماد الدين زنكي إبان مدة حكمه على نشر الأمن والسلم المجتمعي عن طريق قضائه على كل أشكال الاضطرابات التي عملت على استباب الأمن والسلام.

الكلمات المفتاحية: عماد الدين الزنكي، السلم المجتمعي، الخليفة المسترشد، صلاح الدين .

ISSN. 1815-8854

Abstract

The concept of societal peace refers to a state of harmony and internal cohesion in Iraqi society. Despite the diversity of the social and religious fabric, it has been characterised throughout history by a state of peaceful coexistence that has strengthened the bonds of cohesion between all nationalities and sects in Iraq, From this standpoint, the research aimed to demonstrate the role of Emad al-Din Zengi's policy in preserving societal peace in Iraq. One of the most prominent results that the research focused on was the work of Emad al-Din Zengi during his reign to spread security and societal peace by eliminating all forms of disturbances that worked to establish security and peace.

.

Keywords: Emad ad-Din Zangi , Social Peace ,Caliph al-Mustarshid ,Saladin al-Yaghsiani

ISSN. 1815-8854

المقدمة

شهد تاريخ العراق عبر العصور التاريخية المختلفة وجود شخصيات تاريخية اسهمت في تلاحم عناصر المجتمع العراقي مما خلق ترابطاً سلمياً مجتمعياً كبيراً بين الأطياف المختلفة التي تكون المجتمع العراقي ومن بين تلك الشخصيات السلطان عماد الدين زنكي (٤٧٧-٥٤١هـ/١٠٨٤-١١٤٦م) مؤسس الدولة الزنكية في العراق والجزيرة الفراتية وذلك من خلال الدور الكبير الذي لعبه في توحيد عناصر المجتمع العراقي بطوائفه كافة وفق التعاليم والمبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام, وكان هدفه من خلق ذلك النوع من السلم المجتمعي توحيد صفوف المجتمع العراقي بكافة طوائفه، بعد التمزق الداخلي الذي تعرض له المجتمع العراقي بعد انفصال الكثير من الدويلات عن الخلافة العباسية، نتيجة ضعفها العام، والذي تسبب بتكوين دويلات وإمارات داخل الخلافة نفسها ومنها العراق المتمثل بحاضرة الخلافة العباسية ، فضلا عن مواجهة الأخطار الخارجية القادمة من الغرب آنذاك.

وبناءاً على ذلك، قسم البحث إلى تمهيد ومبحثين، جاء التمهيد بعنوان مفهوم السلم المجتمعي وأهميته، في حين تناول المبحث الأول: السيرة الذاتية لعماد الدين زنكي، وتطرق المبحث الثاني عن دور عماد الدين زنكي في السلم المجتمعي في العراق.

التمهيد: مفهوم السلم المجتمعي وأهميته

أولاً:- مفهوم السلم المجتمعي لغة واصطلاحاً:

أ. لغة:

يأتي مفهوم السلم المجتمعي لغة وفق ما عرفه ابن منظور، إذ يقول: والسِّلْمُ: المُسَالِمُ. تَقُولُ: أَنا سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَني. وَقَوْمٌ سِلْمٌ وسَلْمٌ: مُسالِمونَ، وَكَذَلِكَ امرأَة سِلْمٌ وسَلْمٌ. وتَسالمُوا: تَصَالَحُوا. وَالْخَيْلُ إِذا تَسالَمَتْ تَسايَرَتْ لَا يَهيج بعضُها بَعْضًا(ابن منظور،١٩٩٤، ١٢/٢٩٣) .

ب. اصطلاحاً:

يعرف السلم المجتمعي بأنه إيجاد حالة من الاطمئنان والارتياح والثقة والأمن والتعاون والتكافل داخل المجتمع، وتأمين الحاجات الضرورية للإنسان سواء الحاجات النفسية أو الجسمية

ISSN. 1815-8854

(كليبي، ٢٠١٩، ٤)، كما ويُعرف السلم المجتمعي على أنه حالة السلام والوئام داخل المجتمع نفسه وبين شرائحه وقواه(الصفار، ٢٠١١، ٩).

ويعرفه باحثون آخرون بأنه اقصى اشباع ممكن لاحتياجات الجماهير في إطار العدالة الاجتماعية التي تنبذ الصراع بين فئات المجتمع وتوفر المناخ الملائم لكي يعيش المجتمع في إطار مقبول من التقبل والتعاون والشعور بالأمن والسلام الاجتماعي، الأمر الذي يؤدي إلى ترتيب الولاء والانتماء للمجتمع. آخذين بعين الاعتبار تحقيق التوازن بين استمرارية هذه الاجتماعات. هذه الإشباعات وما تفرضه عوامل التغير الاجتماعي من تحولات جذرية(عواد، ٢٠٢٠، ٣).

ثانياً:- أهميته:

يعد السلم المجتمعي من أهم المقاييس الأساسية لتقويم أي مجتمع، فمن خلاله تُشخص حالة العلاقات الداخلية فيه، فسلامتها علامة على صحة المجتمع وإمكانية نهوضه، واهتراؤها دلالة على السوء والتخلف، فالسلم المجتمعي مطلب ثانٍ ضروري لتقسيم الحياة، وبدونه يعيش الإنسان حالة من الخوف وعدم الارتياح يصاحبها حالة من القلق على المصير فالاستقرار وإيجاد حالة من السلم والأمن داخل المجتمع نعمة توجب شكر الله تعالى، فهي من أجل النعم وأعظمها. لذلك نجد سيدنا إبراهيم عليه السلام جعل أول دعوة استتباب الأمن في مكة، فقال الله تعالى على لسانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(البقرة:١٢٦)، في المقابل، فقد عد الله تعالى وجود حالة من الخوف والجوع داخل المجتمع. ابتلاء منه جل في علاه، فقال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (البقرة:١٥٥). فالأمن المجتمعي، ضرورة من ضرورات استقامة الحياة، والأمن المجتمعي ضرورة حياة. فإذا كان الأمن الفردي من الحاجات الضرورية للإنسان فإن الأمن المجتمعي يأخذ الضرورة نفسها، لأنه لا يمكن تحقيق الأمن الفردي بدون أمن الجماعة، ومن هنا يمكن القول أن الأمن المجتمعي يمثل وصول المجتمع وأفراده إلى حد الأسرة، وهو يرتبط بذلك بقوة الأسرة كلبنة أولى في المجتمع(أحمد، ٢٠٢٠، ١٢١)

ISSN. 1815-8854

إن إيجاد حالة من السلم والأمن المجتمعي ضرورة ومقصد. شرعي، يجب العمل على إيجاده في المجتمع المسلم. وفي ذلك تقول جيهان عبدالحليم: إن أهمية الأمن والاستقرار الاجتماعي قد تجاوزت الحق الاجتماعي لتجعله فريضة إلهية وواجبا شرعيا وضرورة من ضرورات استقامة المجتمع الإنساني، وإن إقامته تعد أساسا للإقامة الدين. كونه ضرورة ملحة لأي مجتمع بكل شرائحه، المسلمين وغير مسلمين ويذكر بوزيان ان حفظ النظام والأمن مقصدا مسلما عند الفقهاء وأن لم يصرحوا بذلك(كليبيي، ٢٠١٩، ٤).

المبحث الأول: السيرة الذاتية لعماد الدين زنكي

أولاً:- أسمه ونسبه ولقبه:

هو أبو الجود عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله آل ترغال الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب؛ صاحب الموصل، وكان من الأمراء المقدمين، ويرجع أصله إلى قبائل (الساب يو) التركية(ابن العديم ،بغية الطلب في تاريخ حلب ،٣٨٤٥/٨ ؛ ابن خلكان، ١٩٩٠ ،٣٢٧/٢ ؛ الذهبي ،١٩٨٥ ،١٨٩/٢٠) .

ومن صفاته أنه كان حسن الهيئة ذا بشرة مائلة للسمرة، وقد اختط شعره بالشيب ،شديد الهيبة على عسكره ورعيته ،عظيم السياسة(ابن الأثير, الباهر, ١٩٦٣ ,٧؛ النويري ،نهاية الأرب في فنون الادب ،٢٠٠٣ ،١٤٧/٢٧).

ثانياً:- أسرته:

ولد عماد الدين زنكي في سنة "٤٧٧هـ/١٠٧٧م" وقيل "٤٨٠هـ/١٠٨٠م)(ابن خلكان، ١٩٩٠ ،٣٢٧/٢)، وعاش مع أسرته، إذ حظي برعاية والده الذي لم يكن له من الأولاد إلا هو، فعاش في كنف والده مدة تزيد عن العشرة اعوام، تكونت خلالها شخصيته، وأخذ عن ابيه طبائعه وصفاته، ليصبح عماد الدين نعم الوريث الذي يرث شخصية مميزة كوالده، و دربه والده على ركوب الخيل ورمي السهام، وعوده على الصبر ومشاق الحروب وممارستها، وأثبتت المعارك والأحداث فيما بعد حسن تربية والده له فقد تميز بالشجاعة الفائقة، إذ كان يهاجم مع أمراء الموصل وغيرهم بضراوة وقسوة، ودائماً كان في مقدمة الجيوش التي يقودها ، فضلاً عن قدراته

ISSN. 1815-8854

التكتيكية في المعارك التي كان يخوضها، إذ كان ينسحب ويحسن الانسحاب عندما لا يرى حوله أحداً، فيعجب الناس من رجوعه سالما، كما ورث عن أبيه التخطيط الذي يؤدي إلى هزيمة الخصم بشكل كامل(ابن الأثير ،الباهر ١٥،١٩٦٣؛ ابن العديم ،بغية الطلب في تاريخ حلب ،٣٨٤٥/٨).

وتتحدث معظم المصادر التاريخية أن تاريخ وفاة والده كانت بحدود سنة (٤٨٧ هـ/١٠٨٧م) (ابن الأثير ،الباهر ١٥،١٩٦٣)، أما فيما يخص الحديث عن والدته فقد عاشت حتى رأت ابنها يرث أباه ويحكم الموصل، وقرت عينها إذ رأته في السنة التي توفيت فيها يحاصر دمشق التي قتل صاحبها تاج الدولة تتش زوجها آق سنقر، فقد توفيت سنة "٥٢٩هـ/١١٣٥م" بالموصل(ا ابن الأثير, الباهر, ١٩٦٣، ١٦؛ لصلابي، ٢٠١٧، ٢٠).

أما عن زوجاته فقد تزوج عماد الدين زنكي عدداً من النساء، منهم: زوجة الأمير كندغدي إذ تزوجها بعد وفاة الأمير، أما الثانية فهي خاتون ابنة الملك رضوان، أما الثالثة فهي ابنة سقمان القطبي، وأما الرابعة فهي ابنة تمرتاش، وفي سنة "٥٣١هـ /١١٣٧م" تزوج خاتون بنت جناح الدولة حسين، وفي سنة "٥٣٣هـ/١١٣٩م" تزوج من صفوة الملك ابنة الأمير جاولي (ابن الأثير, الباهر, ١٩٦٣ ، ١٦– ١٧؛ الصلابي، ٢٠٠٧، ٢١).

أما اولاده فهم كل من سيف الدين غازي(ت ٥٤٤هـ) وهو الأكبر ، ونور الدين محمود (ت٥٦٩هـ)، وقطب الدين مودود (ت ٥٦٥هـ)، ونصرة الدين أمير أميران (ابن الأثير, الباهر, ١٩٦٣ ,١٧– ١٨ ؛ الصلابي، ٢٠٠٧، ٢٢).

ثالثاً:– وفاته:

أما عن وفاة عماد الدين زنكي فقد كانت في حدود عام "٥٤١هـ/١١٤٧م" من شهر ربيع الآخر عندما كان يحاصر قلعة جعبر حيث دخل عليه مجموعة من مماليكه فقتلوه وهربوا إلى قلعة جعبر فتوفي وقد كان عمره آنذاك حوالي أربع وستين عام (النويري ،نهاية الأرب في فنون الأدب ، ١٤٢٣، ١٤٧/٢٧).

ISSN. 1815-8854

المبحث الثاني: دور عماد الدين زنكي في السلم المجتمعي في العراق

سبق وأن تحدثنا في المبحث الأول عن شخصية عماد الدين زنكي وصفاته الشخصية التي جعلت منه قائداً مميزا وأميراً محبوباً لدى غالبية سكان العراق ولاسيما المناطق التي تولى إدارتها، إذ مكنته حنكته وذكاؤه وحكمته من ان ينشر الأمن والسلام في العراق من خلال دوره في الوقوف بوجه التمردات والاضطرابات، فضلاً عن قدرته على حل النزاعات والوصول إلى الحلول التي تسهم في تأليف القلوب وتقريبها من بعضها، فضلاً عن علاقاته الواسعة مع سكان العراق والمناطق المجاورة لها .

لقد بزغ نجم عماد الدين زنكي نتيجة للدور الكبير الذي لعبه والده آق سنقر الإداري والعسكري خدمة للأمراء السلاجقة، وأدت العلاقة الوطيدة التي كانت تربط والده (آق سنقر) بالسلطان السلجوقي ملكشاه الذي خلف والده ألب أرسلان في حكم الدولة السلجوقية دورا كبيرا في تثبيت وجوده في الدولة السلجوقية، فكان والده قد تربى مع السلطان ملكشاه منذ صغره وصحبه إلى حين كبر(ابن الأثير ، ١٩٦٣ ،٤) وبعد أن خلف ملكشاه والده في حكم الدولة السلجوقية عينه حاجباً له ولقبه بقسيم الدولة (ابن الأثير ، ١٩٦٣ ،٤؛ أبو شامة ،١٩٩٧، ٩٤/١) ويبدو أن منحه اللقب كان نتيجة للنجاحات الباهرة التي حققها وولائه المطلق للسلطان السلجوقي ملكشاه (ابن واصل ، ١٩٥٧ ،١٣/١، ١٩).

وتقديراً لجهود والده فقد حظي باهتمام الأمراء السلاجقة منذ نعومه أظفاره، وكان لقدراته العسكرية الكبيرة قد جعلت منه شخصية مقربة للأمراء من أجل الاستفادة من خدماته ولاسيما الأمراء الذين حكموا الموصل آنذاك وعلى راسهم كربوقا (ت٤٩٥هـ/١١٠١م)، والوالي جكرمش"ت٥٠٠هـ/١١٠٦" والوالي جاولي سقاو والوالي مودو (ت٥٠٧هـ/١١١٣)، ثم نضم لخدمة الوالي جيوش بك ثم آق سنقر البرسقي(ابن خلكان، ١٩٩٠، ٣٢٨/٢-٣٢٩ ؛ الصلابي، ٢٠٠٧، ٢٣-٢٥).

بدأ دور عماد الدين زنكي بالظهور على مسرح الأحداث من خلال بث الأمن والسلام والحث على تماسك المجتمع العراقي عندما استغل كل من الوالي جيوش بيك والسلطان مسعود بن محمد بن

ISSN. 1815-8854

ملكشاه، وفاة السلطان محمد بن ملكشاه سنة "٥١١هـ/١١١٧م" وتولي السلطان محمود السلطة، مما دفع جيوش والسلطان مسعود إلى التوجه إلى بغداد لكي ينصب نفسه سلطاناً على سلاجقة العراق – مستهدفاً من وراء ذلك التحكم الفعلي في شؤون الدولة السلجوقية باسم السلطان الجديد، غير أن زنكي رفض تأييده بعد ان كان راغباً في البداية وأشار على المتمردين بطاعة السلطان وترك مخالفته وحذرهم عاقبة العصيان، لكنهم لم يلتفتوا إلى قوله، وأقدموا على تنفيذ محاولتهم التي انتهت هي الأخرى بالفشل بعد هزيمة جيوش بك ومسعود على يد السلطان محمود الذي بلغه موقف زنكي منه فقدره حق قدره، وأوصى البرسقي والي الموصل الجديد بالعناية به وتقديمه على سائر الأمراء(أبو شامة، ١٩٩٧، ١/١١١؛ الصلابي، ٢٠٠٧، ٢٥).

ونتيجة لجهوده وقدرته على بسط الأمن والسلام فضلاً عن قدراته الإدارية العالية تولى عماد الدين زنكي إمارة واسط والبصرة وعندما عين البرسقي عام "٥١٦هـ/١١٢٢م" شحنة العراق رافقه زنكي واشترك إلى جانبه في المعركة التي دارت ضد دبيس أمير الحلة وانتهت بهزيمة البرسقي، الذي رأى أن يزيد من اعتماده على زنكي في صراعه ضد دبيس فولاه واسط ذات الموقع المهم وكلفه مهمة الدفاع عنها ضد هجمات أمير الحلة وقد استطاع زنكي أن يسحق في طريقه إلى واسط القوات التي حشدها دبيس للدفاع عن النعمانية وأن يستولي على هذا الموقع، وأظهر زنكي في منصبه الجديد حزماً وكفاءة، وأبان عن مقدرة إدارية فذة، الأمر الذي دفع البرسقي، حاكم العراق، إلى إضافة البصرة إلى ولايته، لكي يصد هجمات الأعراب الدائمة عليها، وينشر الأمن في ربوعها، فانتقل زنكي إليها لكي يحقق فيها ما أنجزه في واسط من نشر للأمن والقضاء على الفوضى، وقد تمكن في وقت قصير من أن يوقف هجمات الأعراب وغاراتهم المتتابعة عند حدها، وأن يجليهم إلى أعماق الصحراء، كما قضى على الفتن التي عمت البصرة، وأظهر مقدرة عسكرية وإدارية كالتي أظهرها في واسط من قبل، مما زاد من مكانته في نظر رجالات الدولة السلجوقية ومن رهبته في نظر الأعداء حتى أن دبيس بن صدقة امير الحلة– تجنب الاصطدام معه، لأنه أدرك أن ليس في طاقته مجابهته والتغلب عليه، وفضل توحيد جهوده ضد الخليفة العباسي في بغداد بدلاً من مقارعة هذا الأمير القدير(ابن الأثير، الكامل، ١٩٩٧، ٨/٦٢٦–٦٣١؛ الصلابي، ٢٠٠٧، ٢٥).

ISSN. 1815-8854

يلحظ مما تقدم الدور الكبير لعماد الدين زنكي في نشر السلم المجتمعي الذي أسهم في تألف المجتمع وتقوية أواصر العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين أواصر المجتمع في واسط والبصرة من خلال قضاءه على الفتن والاضطرابات التي سادت في تلك المنطقة خلال فترة إدارة عماد الدين زنكي.

كما أدى عماد الدين زنكي إلى جانب البرسقي دوراً في الدفاع عن الخليفة العباسي المسترشد(٥١٢-٥٢٩هـ/١١١٨-١١٣٥م) ولم يترك البرسقي وزنكي الخليفة يجابه بمفرده حشود دبيس، فجمعا قواتهما والتقوا به في مطلع عام (٥١٧ هـ/١١٢٣م) قريباً من الحلة، واستطاعوا – بفضل الله ثم الخطة البارعة التي اتبعها زنكي – أن يلحقوا به هزيمة نكراء وأن يقتلوا ويأسروا الكثير من جنده، واضطر هو ومن سلم من قواته إلى الفرار، بينما عاد المسترشد وحلفاؤه إلى بغداد يستقبلهم الأهالي هناك استقبالاً حافلاً، بعد خلصوهم من خطر محقق كان يحيق ببغداد ويعرضها للنهب والتخريب ، وكان زنكي – لدى مغادرته البصرة – قد فوض شؤونها لمقدم حاميتها الأمير سخت فاستغل دبيس بعد ذهاب زنكي عنها وهاجمها على حين غرة وتمكن من قتل مقدم حاميتها ونهب أهاليها، لكن زنكي ما لبث أن عاد إلى البصرة ليقر الأوضاع فيها من جديد، فانسحب دبيس من المنطقة واتجه إلى بلاد الشام للعمل ضد الخلافة العباسية(ابن الأثير، ١٩٩٧، ٨/٦٨٥).

يتضح مما تقدم الدور الكبير الذي ساهم فيه عماد الدين ببسط ونشر السلام وتثبت اركان السلطة الحاكمة المتمثلة بالخليفة العباسي المسترشد أذ ان زنكي ما حل في مكان الا وساهم في بسط السلم المجتمعي فيه، بدليل ان المناطق التي يغادرها تتعرض لخطر الاضطرابات والفتن التي كان يحيكها أعداء الخلافة العباسية والطامعين في السلطة.

كما قام السلطان محمود بتكليف عماد الدين بتوطيد الأمن في البصرة إذ غدت البصرة بعد مغادرة زنكي لها مسرحاً للفوضى، وهدفاً للنهب والتخريب، وهجمات الأعراب وبلغ السلطان ذلك فأمر زنكي بالعودة إليها، بعد أن أقطعه إياها عام ٥١٨ هـ /١١٢٤م، وطلب منه اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لتوطيد الأمن في المنطقة، كما كلفه مهمة الإشراف على واسط والسعي للدفاع عنها غادر زنكي أصفهان إلى البصرة وباشر مهام منصبه، فأحسن معاملة أهلها واستطاع أن يخلصهم من هجمات الأعراب، وذلك عن طريق تنظيم دوريات عسكرية دائمة للقيام بهجمات

ISSN. 1815-8854

مضادة على الأعراب ونصب الكمائن لهم، كما اهتم بالوقت ذاته بأمور واسط وأخذ يمد السلطان بأخبار العراق بحيث لم يخف على الأخير شيئاً من أموره، الأمر الذي زاد من تقديره لزنكي ومن ارتفاع منزلته عنده، ورشحه لمنصب شحنكية العراق(ابن الأثير، الباهر، ١٩٦٣، ٢٧).

وهكذا أدى زنكي دوراً حاسماً في وضع حد للصراع بين السلطان والخليفة والذي كان من المحتمل أن يؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها، و كان لدوره الكبير في نشر السلم وضبط الأمر دوراً في ترشيح السلطان محمود له لتوليه شحنكية العراق فلما أراد السلطان محمود الرحيل نظر فيمن يصلح أن يلي شحنكية العراق، وبغداد، ويأمن معه من الخليفة ويضبط الأمور فلم ير في أمرائه وأصحابه من يصلح لسد هذا الباب العظيم ويرفع هذا الخرق من الاتساع ويقوى على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكي، فولاه شحنكية العراق مضافاً إلى ما بيده من الإقطاع، وسار السلطان عن بغداد ، وقد أطمأن إلى نفوذه في العراق، بعد أن أناب عنه الرجل الذي يستطيع أن يقوم بمهام منصبه خير قيام، وأصبح عماد الدين منذ ذلك التاريخ يصرف الأمور لا في بغداد وحدها بل في سائر جهات العراق اجمع وقد كان له دور في السلم المجتمعي في العراق(ابن الأثير، الباهر, ١٩٦٣، ٢٨-٢٩).

وكان للدور المميز الذي أداهُ زنكي في نشر الأمن والسلام أراد أهل الموصل وعلى رأسهم فقهاء الموصل ووجهاءها أن يتولى عماد الدين إدارة المدينة فعندما توفي أمير الموصل عز الدين البرسقي عام ٥٢١هـ / ١١٢٧م تولى أمرها أخ صغير له تحت وصاية مملوك تركي يدعى جاولي، أدرك الفقهاء أن ضعف الموصل لابد أن يؤثر في حلب وبلاد الشام في هذه المرحلة الحاسمة في تاريخ الصراع، إذ أن ذلك الفراغ السياسي، وعدم وجود قيادة عسكرية قوية في الموصل لابد أن يلقى انعكاساً على الصراع الصليبي الإسلامي ، ولذلك قامت عائلة كمال الدين الشهرزوري (ت ٥٧٢هـ/١١٧٦م) بالعلم والصلاح بدور كبير في تنصيب عماد الدين زنكي في الموصل لكونه قائدا عسكريا قويا. حقيقة أن جاولي قام بإرسال القاضي بهاء الدين بن القاسم الشهرزوري، ونائب عز الدين البرسقي صلاح الدين محمد الياغيسياني إلى بغداد، التي كان بها السلطان محمود السلجوقي، وتلك الولاية في الموصل لأخي عز الدين الصغير حتى يظل يسيطر باسمه على الحكم فيها بصفة الوصاية عليه، إلا أن القاضي ورفيقه أدركا ذلك الهدف وإنهما ليس في نيتهما تحقيق

ISSN. 1815-8854

هدف جاولي، لاعتقادهما بعدم كفاءته لذلك الظرف الصعب، حيث كانا على معرفة بطباعه وتصرفاته التي لا يرضيان عنها، ويبدو في الوقت نفسه أنهما كانا على علاقة متينة بعماد الدين زنكي حيث خططا معاً أن يتمكنا من إقناع ذلك السلطان لتوليته الموصل وحلب، حرصاً منهما على عدم ضياع البلاد الإسلامية وخاصة الموصل في أيدي الصليبيين ، وبوصول القاضي ورفيقه إلى بغداد اتصل صلاح الدين محمد بأحد أقربائه في بغداد نصير الدين جقر (ت ٥٥١هـ/١١٥٧م) حيث كان بينهما مصاهرة واجتمعوا به وقرروا أن جاولي لا يصلح لحفظ البلاد لأنه كان سيئ السيرة ، وأخذ القاضي الشهرزوري على عاتقه حمل الأمانة وقول الحق، فاجتمع هو وصلاح الدين الياغيسياني بوزير السلطان السلجوقي(ابن الأثير، الباهر، ٣٤-٣٥)، وقالا له: قد علمت أنت والسلطان السلجوقي أن ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها واستولوا على أكثرها، وقد أصبحت ولايتهم من حدود ماردين إلى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين ، ويتضح من خلال حديث القاضي بهاء الدين الشهرزوري مبلغ تخوفه من سيطرة الصليبيين على أراضي الإسلام وخشيته من اتساع الرتق باستيلائهم على المزيد منها، وحاجة البلاد إلى الرجل المناسب لوقف التوسع الصليبي والتصدي له(ابن الأثير، الباهر، ٣٥؛ عاشور، ١٩٧٢،٣٥٤) فاستطرد قائلاً: "ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع ذي رأي وتجربة يذب عنها ويحمي حوزتها"، (ابن الأثير، الباهر، ٣٥)، ومن عمق إحساسه بالمسؤولية أمام الله والعباد نراه يقول: "وقد أنهينا الحال إليك لئلا يجري خلل أو وهن على الإسلام والمسلمين، فنحصل نحن بالإثم من الله واللوم من السلطان"(ابن الأثير، الباهر، ٣٦)، وهذا يعطينا درساً مهماً في دور هذا الفقيه الذي وضع مصلحة الأمة فوق كل اعتبار ولم يتأثر بترغيب ولا ترهيب من حاكم الموصل الذي أرسله للسلطان السلجوقي، كما أن في اختيار كمال الدين الشهرزوري العماد الدين زنكي تزكية له من بين بقية الأمراء في ذلك العهد، وقام وزير السلطان شرف الدين أنو شروان بن خالد بتوصيل مطلبهما وحال بلاد الشام إلى السلطان محمود وبواسطة ذلك الوزير اقتنع السلطان برأيهما وحالهما، وتحقق هدفهما عندما استشارهما فيمن يفضلون لولاية الموصل، ويبدو أن القاضي الشهرزوري ورفيقه أشارا عليه بمجموعة من القادة المسلمين من بينهم عماد الدين زنكي حتى لا يشك في أمرهما وإصرارهما عليه إلا أنه أختار عماد الدين بإيعاز من وزيره أنوشروان وعينه والياً على الموصل ، وهنا يظهر دور العالم القاضي بهاء الدين بن القاسم الشهرزوري في اختيار القائد الأفضل لقيادة القوى

ISSN. 1815-8854

الإسلامية في مواجهة الغزو الصليبي، حتى كان لهذا الاختيار أثره في إرساء حجر الجهاد في المشرق الإسلامي حيث تمكن من خلاله غرس نواة الوحدة مع حلب عندما أخذها ورحب به أهلها عام "٥٢١ هـ / ١١٢٧م" لأن موقع حلب الاستراتيجي بين بلاد الشام، ومناطق أعالي الفرات هو الذي جعلها في قلب الأحداث آنذاك حتى أن ذلك الأمير عماد الدين قد أدرك أهمية ذلك الموقع بالنسبة لبلاد الشام والموصل والجزيرة الفراتية وتمنى لو أخذها المسلمون قبل أن يدخلها الصليبيون(ابن الأثير، الباهر، ٣٦؛ خليل، عماد الدين، ١٩٨٥ ,٤٤-٤٥)

ونظراً لما تقدم، مال السلطان السلجوقي إلى تولية عماد الدين زنكي إمارة الموصل لما علم من شهامته وتمكنه من إنجاز المهام التي أنيطت به من قبل، وأمره بالحضور، وبعد مناقشات قصيرة اقتنع السلطان بجدارة زنكي في القيام بأعباء المنصب الجديد؛ ومن ثم أصدر منشوراً بتوليته الموصل والجزيرة وما يفتتحه من بلاد الشام، وسلمه ولديه ألب أرسلان فروخ شاه الخفاجي ليكون أتابكاً لهما، أي أبا مربياً وفقاً للتقاليد السلجوقية السائدة آنذاك، ومنذ ذلك الوقت سمي زنكي أتابكاً وأصبح كل من ولدي السلطان محمود تحت إشرافه المباشر وفي الثالث من رمضان عام ٥٢١ هـ/ ١١٢٧م وصل بغداد الأمير مجاهد الدين بهروز، قادماً من بلاد فارس، ليتولى شحنكية العراق، فغادر زنكي ورجاله عاصمه العراق نحو الموصل لتسلم مهام منصبه الجديد ، وتعد أتابكية الموصل نواة للدولة الزنكية (خليل، عماد الدين، ١٩٨٥، ٤٤-٤٥؛ الصلابي، ٢٠٠٧، ٢٩).

نستنتج مما تقدم ان دور عماد الدين زنكي في نشر الأمن والسلام في ربوع المناطق التي تولى ادارتها ومحبة الناس له قد دفعت السلطان السلجوقي ان يوليه إدارة الموصل ذات الخليط السكاني المتنوع ليقين السلطان بقدرته على نشر السلم المجتمعي هناك.

واعترافاً من عماد الدين زنكي بما بذله القاضي بهاء الدين الشهرزوري في تعيينه، ورداً لجميله نحوه، عينه قاضي قضاة بلاده جميعها وما يفتحه من البلاد، وكذلك زاده أملاكاً وإقطاعاً واحتراماً وكان يثق فيه وفي آرائه، لذلك كانت منزلته عظيمة عنده، وكان عماد الدين يستشروه في معظم الأمور المهمة في دولته، حتى صرح ابن الأثير بذلك قائلاً: وكان لا يصدر إلا عن رأيه ، إن احترام العلماء وتقدير آرائهم واستشارتهم من عوامل وأسباب نجاح القادة السياسيين والعسكريين(ابن الأثير، ١٩٩٧، ٨/٩).

ISSN. 1815-8854

أثبت عماد الدين زنكي جدارته في حكم البلاد التي تسلمها، إذ سادت العدالة في فترة حكمه وعلى الرغم من ذلك أن الأوضاع في البلاد التي تسلم فيها الحكم كانت تعاني من تدهور وفوضى بمجملها، ورغم ذلك شهدت البلاد ازدهار وعمران في النواحي كافة (ابن الأثير، الباهر, ١٩٦٣، ٢٩؛ النويري، ٢٠٠٣، ١٤٧/٢٧؛ العليمي ،٢٠١١، ٦٠/٢) ، كما عمل على تحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية والمساواة بين الأقليات ومن ابرز الروايات التي تدل على ذلك ما أورده أبو شامة أن احد أمراءه وهو أبو بكر الدبيسي عندما أحكم عماد زنكي سيطرته على الموصل قد نزل بدار يعود ليهودي فجاء الرجل شاكيا إلى زنكي فغضب زنكي من الدبيسي ولم يكلمه قط. ثم أمر فيما بعد أن تعيد الدار لصاحبها(أبو شامة١٩٩٧، ١٥٧/١) ،كما قدم لنا ابو شامة معلومات مفيدة عن دور زنكي بنشر العلم والعدالة بينا ابناء البلد الواحد اذا قال :"علما الأمراء وغيرهم محبة السلم والعدال واداء الحق وكراهية الظلم، ومعاقبة من يفعله, فاقتدوا به, فامن الناس وظهر العدل بينهم:(ابو شامة, الروضتين ,١٤٩/١-١٥٠)، وتذكر المصادر على ان زنكي كان مربيا فاضلاً شهماً مشهوداً لهُ بذلك خاصة بعد ان كلفه السلطان السلجوقي محمود بتربية اولاده وهما الب ارسلان وفروخ شاه بعد ولايته للموصل (علي، ١٩٨٣، ١٥/٢) ومن هنا ظهرت لفظة الاتابك ومعناها (مربي اولاد الملوك)(ابو شامة، ١٩٩٧، ١٥٧/١؛ الصفدي ، ٢٠٠٠، ١٣٣/١١).

عرف عن عماد الدين زنكي غيرته الشديدة على الحريم، لاسيما نساء الاجناد التي دلت أيضاً على عدله وضبطه للأمن، فإن التعرض إليهن كان من الذنوب التي لا يغفرها، إذ كان يقول: "إن جندي لا يفارقونني في اسفاري، وما يقيمون عند اهليهم، فإن نحن لم نمنع عن التعرض الى حرمهم هلكنّ، فمن شدة غيرته وتعظيمه لهذا الذنب"، إذ أقام حاكماً بقلعة الجزيرة اسمه حسن ولقبه (ثقة الدين) وعرف بـ (البربطي)، وكان غير مرضي السيرة، فبلغهُ إنه تعرض للحرم، فأمر حاجبهُ صلاح الدين الياغيسياني ان يسير ويدخل الجزيرة بغتةً، فإدا دخلها أخذ البربطي وقطع ذكره وقلع عينيه عقوبة لنظر بهما الى الحرم، فصار صلاح الدين ولم بشعر البربطي إلا وقد وصل الى البلد، فخرج الى لقائه فأكرمه صلاح الدين ودخل معه البلد، وقال له: المولى اتابك يسلم عليك ويريد أن يرفع منزلتك، ويسلم اليك قلعة حلب ... ففرح ذلك الحاكم ولم يترك له قليلاً ولا كثيراً إلا نقله الى السفن ليحدرها الى الموصل في دجلة، في حين فرغ من جميع ذلك، اخذه صلاح الدين و

ISSN. 1815-8854

امضى فيه ما أمر به، و أخذ جميع ماله، فلم يتجاسر بعده أحد على سلوك شيء من أفعاله، فأعجب من حزم هذا السلطان " (ابن الأثير، الباهر، ١٩٦٣، ٨٤).

كما أن زنكي اثناء حكمه للموصل ومنطقة الجزيرة قام بتوحيد كثير من المدن المتفرقة التي استأثر بحكم كل منه امير شبة مستقل ومنه منطقة البوازيج الواقعة على طريق الموصل عند مصب الزاب الاسفل كانت اول المواقع التي استولاء عليه عماد الدين زنكي وعمل على نشر الأمن فيها, ثم ما لبث عن غادرها صوب الشمال للاستيلاء على جزيرة ابن عمر والتي سرعان ما وجد سكانها ان لا طاقة لهم بموجهة زنكي , فاعلنوا بالترحيب به وفتحت لهو الأبواب فدخلها على رأس قواته وعامل اهلها معاملة طيبة ,كما حرص على حفظ الأمن بهذه المواقع بسبب قربها من الموصل واهميته العسكرية والاقتصادية .(خليل ,عماد الدين زنكي ,٧٠-٧١).

وبذلك حسم عماد الدين امره بتوحيد وضم هذه المدن إلى ربوع امارته بالموصل والعمل على نشر السلم فيها.

ISSN. 1815-8854

الخاتمة

بعد هذا العرض توصلت الدراسة إلى مجموعة نتائج تمثلت بالآتي:

١. عُدّ عماد الدين زنكي من أبرز قادة السلاجقة، ومؤسس الدولة الزنكية في العراق.

٢. عمل عماد الدين زنكي في مدة حكمه على مناطق العراق المختلفة على نشر الأمن والسلم المجتمع من خلال قضائه على الاضطرابات وتثبيت الحكم ونشر الأمن .

٣. شجع عماد الدين زنكي العلماء وحفظ حقوقهم وكرمهم، إذ كان يستشيرهم، ولم يهمل الجانب التعليمي.

٤. لم يفرق زنكي بين مكونات الشعب، وانما كان الجميع سواسية من خلال تحصيل حقوقهم بغض النظر عن دياناتهم وقومياتهم.

٥. يعرف السلم المجتمعي بأنه ايجاد حالة من الاطمئنان والارتياح والثقة والأمن والتعاون والتكافل داخل المجتمع.

٦. يُعد السلم المجتمعي من أهم المقاييس الاساسية لتقويم أي مجتمع فمن خلاله تشخص حالة العلاقات الداخلية فيه فسلامتها علامة على صحة المجتمع وامكانية نهوضه، واهتراؤها يدل على السوء والتخلف.

ISSN. 1815-8854

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر الأولية:

- أبن الأثير ، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد .(ت ٦٣٠ هـ/ ١١٣٢م)

١. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق : عبدالقادر احمد طلمات ، (الدار الكتب الحديثة، القاهرة : ١٩٦٣ م).

٢. الكامل في التاريخ ،تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ط١، (دار الكتاب العربي، بيروت : ١٩٩٧م).

- أبن خلكان، أحمد بن محمد بن أبراهيم بن أبي بكر (٦٨١هـ/١٢٨١م)

٣. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، (دار صادر – بيروت : ١٩٩٠).

- الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز(ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م).

٤. سير اعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بأشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣، (مؤسسة الرسالة – بيروت :١٩٨٥ م).

- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل(ت٦٦٥هـ/١٢٦٩م) .

٥. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق،ط١، (مؤسسة الرسالة – بيروت: ١٩٩٧م).

- صفدي، خليل بن ايبك بن عبدالله(ت ٧٦٤هـ/١٣٣٢م).

٦. الوافي بالوافيات ، تحقيق : احمد الأرناؤوط واخرون ، (دار احياء التراث – بيروت : ٢٠٠٠م).

- أبن العديم، عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جرادة(ت٦٦٠ هـ/١٢٦١م) .

٧. بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق : سهيل زكار ، (دار الفكر – بيروت: د.ت).

ISSN. 1815-8854

٨. زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ط١،(دار الكتب العلمية – بيروت : ١٩٩٦م) .

- العليمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٢٨ هـ / ١٥٢٠م)

٩. التاريخ المعتبر في انباء من غبر ، تحقيق ودراسة : لجنة مختصة من المحققين ، ط١ (دار النوادر – سوريا : ٢٠١١م).

- أبن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين(ت٧١١هـ/١٣١١م).

١٠. لسان العرب، ط٣، (دار صادر – بيروت:١٩٩٤م).

- النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم(ت ٧٣٢هـ /١٣٣٣م).

١١. نهاية الأرب في فنون الأدب ،ط١، (دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة : ٢٠٠٣م).

- أبن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم(ت٦٩٧ هـ/١٢٩٧م) .

١٢. مفرج الكروب في اخبار بن ايوب ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، (دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة : ١٩٥٧م).

ثانياً: المراجع:

- احمد، عصام فتحي زيد.

١. العنف الاجتماعي في الحياة الأسرية، (دار اليازوري – سوريا:٢٠٢٠م)

- الصفار، حسن.

٢. السلم الاجتماعي،(دار الساقي– بيروت: ٢٠١١م).

- خليل, عماد الدين.

٣. عماد الدين زنكي, (الموصل ,مطبعة الزهراء الحديثة ,١٩٨٥م).

- الصلابي، علي محمد محمد.

٤. السلطان الشهيد عماد الدين زنكي، ط١، (مؤسسة أقرأ – القاهرة: ٢٠٠٧م).

- عاشور ، سعيد عبد الفتاح.

ISSN. 1815-8854

٥. تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (دار النهضة العربية – القاهرة : ١٩٧٢م).

- منصور، عصام محمد.

٦. مدخل علم الاجتماع، ط١، (دار الخليج – الأردن:٢٠١٦م).

ثالثاً: المجلات والمقالات:

١. عوض، رياض سليم، السلم المجتمعي في الاسلام اسسه واستراتيجيات النجاح، جامعة كركوك: ٢٠٢٠م، بحث منشور على موقع researchgate.

٢. كليبي، يوسف عطية، السلم المجتمعي: مقومات ترسيخه وأثره في نهوض المجتمع المسلم، مجلة العلوم الإسلامية، مج٢، ع٥، لسنة: ٢٠١٩م.

ISSN. 1815-8854

List of sources in English:

1. Ibn al-Athir, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid (d. 630 AH/1132 AD)
2. The Magnificent History of the Atabeg State, edited by Abd al-Qadir Ahmad Talmat, (Dar al-Kutub al-Hadithah, Cairo: 1963 AD).
3. The Complete History, edited by Umar Abd al-Salam Tadmuri, 1st ed., (Dar al-Kutub al-Arabi, Beirut: 1997 AD).
4. Ibn Khallikan, Ahmad ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Abi Bakr (681 AH/1281 AD)
5. Deaths of Notables and News of the Sons of the Time, edited by: Ihsan Abbas, (Dar Sadir - Beirut: 1990).
6. Al-Dhahabi, Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz (d. 748 AH/1347 AD).
7. Biographies of the Noble Figures, edited by: a group of researchers under the supervision of Shu'ayb al-Arna'ut, 3rd ed., (Al-Risala Foundation - Beirut: 1985 AD).
8. Abu Shama, Abu al-Qasim Shihab al-Din Abd al-Rahman ibn Ismail (d. 665 AH/1269 CE).
9. The Two Gardens in the News of the Two Nuriyya and Salahiyya States, edited by Ibrahim al-Zaybaq, 1st ed., (Al-Risalah Foundation - Beirut: 1997 CE).
10. Safadi, Khalil ibn Aybak ibn Abdullah (d. 764 AH/1332 CE).
11. Al-Wafi bil-Wafiyyat, edited by Ahmad al-Arnaout and others, (Dar Ihya' al-Turath - Beirut: 2000 CE).
12. Ibn al-Adim, Omar ibn Ahmad ibn Hibat Allah ibn Abi Jarada (d. 660 AH/1261 AD).
13. Bughyat al-Talab fi Tarikh Halab (The Desire for the History of Aleppo), edited by Suhail Zakar, (Dar al-Fikr - Beirut: n.d.).
14. Zubdat al-Halab fi Tarikh Halab (The Essence of Aleppo in the History of Aleppo), 1st ed., (Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut: 1996 AD).

ISSN. 1815-8854

15. al-Alimi, Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Abd al-Rahman (d. 928 AH/1520 AD)
16. The Valuable History of the News of Those Past, Investigated and Studyed by a Specialized Committee of Investigators, 1st ed. (Dar al-Nawadir, Syria: 2011).
17. Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram ibn Ali Abu al-Fadl, Jamal al-Din (d. 711 AH/1311 AD).
18. Lisan al-Arab, 3rd ed. (Dar Sadir, Beirut: 1994).
19. al-Nuwayri, Ahmad ibn Abd al-Wahhab ibn Muhammad ibn Abd al-Da'im (d. 732 AH/1333 AD).
20. Nihayat al-Arab fi Funun al-Adab, 1st ed. (Dar al-Kutub wa al-Adawiya al-Qawmiyya, Cairo: 2003).
21. Ibn Wasil, Muhammad ibn Salim ibn Nasrallah ibn Salim (d. 697 AH/1297 AD).
22. Mufrij al-Kurub fi Akhbar Ibn Ayyub, edited by Jamal al-Din al-Shiyal, (National Library and Archives - Cairo: 1957 AD).
23. Ahmed, Issam Fathi Zaid, Social Violence in Family Life, (Dar Al-Yazouri - Syria: 2020)
24. Al-Saffar, Hassan, Social Peace, (Dar Al-Saqi - Beirut: 2011)
25. Khalil, Imad Al-Din, Imad Al-Din Zangi, (Mosul, Al-Zahraa Modern Press, 1985).
26. The Martyr Sultan Imad ad-Din Zengi, 1st ed. (Iqra Foundation, Cairo: 2007).
27. Ashour, Saeed Abdel Fattah,The History of Relations between East and West in the Middle Ages (Dar al-Nahda al-Arabiyya, Cairo: 1972).
28. Mansour, Essam Muhammad, Introduction to Sociology, 1st ed. (Dar al-Khaleej, Jordan: 2016).
29. Klebi, Youssef Attia, Community Peace: The Elements of its Establishment and Its Impact on the Advancement of Muslim Society, Journal of Islamic Sciences, Vol. 2, No. 5, 2019.